أنشودة الصبر

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾
وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾

[سورة الليل]

«مكة.. لا يزال الظلام يرين عليها وعلى ما حولها، إلا من شعاع الضوء الهادى الذى أتى به محمد عليه السلام.. صدور قريش بالغة الضيق والشنآن من دعوته.. لا تجد سبيلاً لمقاومتها والكيد لها إلا طرقته..

بظاهر الكعبة.. منتدى لقريش يضم لفيفًا من القرشيين يتسامرون.. فيهم عقبة بن أبى معيط، وأمية بن خلف.. وآخرون.. يسخر بعضهم من محمد ودعوته..».

عقبة بن أبى معيط : (لأمية بن خلف ساخرًا) تسخر من محمد ، وتنكر عليه دعوته.. وعبدك على دينه؟!!

أمية بن خلف : (يردد مدهوشًا) عبدى على دينه ؟!.. ماذا تقول يا عقبة؟!

عقبة : (مستنكرًا) أما بلغك خبر عبدك بلال بن رباح يا أمية؟!

أمية : (يردد مذهولاً) تابع محمدًا؟!

عقبة : أجل واللات والعزى؟!! (مستأنفًا) قد شاهدته بنفسى يختلف إلى محمد فى قائلة النهار أحيانًا.. وفى ظلمة الليل آنًا.. وعاينت من حذره واستخفائه ما رابنى فيه ودعانى لتسقط أخباره.. (آسيًا) فهالنى ما علمت من أمره.. لقد دخل فيما يدعو إليه محمد، وانخرط فيما تهاوى فيه كثيرون من قومنا!

أمية : (منكرًا) أحقًا ما تقول.. أعلى بينة أنت مما قذفتنا به؟!

عقبة : لو لم أكن قد تيقنت مما نفضته عليك من خبر ـ ما قلته لك..

«القرشيون يهمهمون استنكارًا»

أمية : لعل الأمر قد اختلط عليك؟!..

عقبة : (منكرًا) لا واللات والعزى.. (مؤكدًا) لقد دخل عبدك بلال

فيما يدعو إليه محمد، ولولا أننى على بينة وتيقنت من الأمر
– ما رويت لك ما رويت!..

أمية : (مغيظًا) تبًا له هذا العبد الأسود!

عقبة : (محرضًـا) لئن لم تردع عبـدك يا أمية وترده عما هو فيه، فلسـوف يندلع لهيب هذه الفتنـة بين الموالى والعبيد، بعد أن أخذت سبيلها بين الأشراف!!

أمية بن خلف : (بغيظ شديد) تبًا له هذا العبد الأسود.. لا نجوت إن نجا.. لا نجوت إن نجا.. لأفعلن به الأفاعيل!!

«ينصرف أمية غاضبًا»

* * *

«فـى دار أمية.. ينادى بلالاً.. يدخل بلال.. شاب فارع، قوى الجسم، شديد سواد البشـرة.. مـا يكـاد يقـف أمـام أميـة حتى يبتـدره ثائـرًا والشـرر يكـاد يتطاير من عينيه...».

أمية بن خلف : (محنقًا) أحقًا هذا الذى بلغنى عنك يا بلال؟..

بلال بن رباح : (يستفسر قلقًا) وما بلغك ؟!

أمية : أحقًا أنك تختلف ليل نهار إلـى محمد كمـا يقولون، وأنـك آمنت بأوهامه وصبأت عن آلهة قريش والعرب ؟!!!

بلال : (فى ثبات) إنه والله إلـى الحق يـدعو.. ولا أكتمك أنى قد جئت محمدًا وآمنت برسالته.. وصدقته واتبعته فيما يدعو إليه.. وتابعته على دينه الذى أتى به..

أمية : (مغضبًا) وتقولها فى وجهى يا عبد السوء؟!!..(مستأنفًا) أما علمت أنك ملك يمينى، وعبد رقيق من عبيدى،

وإننى أملك روحك وعقلك وجوارحك؟! فكيف تجاوز طورك وتتعدى حدك وتخرج على دين سيدك؟!!!

بلال : (فى ثبات) أما أنى عبدك وأسيرك فهذا ما لا أنكره عليك..

أمية : (فى غيظ وعجب) أو تستطيع أن تنكره؟!..

بلال : ما أنكره ولا أنكرته، ولو أمرتنى بقطع وادٍ مُسبْع فى جوف الظلام لفعلت..

أمية : (وقد انبعث لديه بعض الأمل) إذن فكيف تعصانى وتتابع محمدًا فيما يسفه به أحلامنا، ويسخر من دين آبائنا وأجدادنا..

بلال : (فى ثبات) لك علىّ بدنى، ولا شأن لأحد بخلجات نفسى.. عقلى وقلبى ودينى لا سلطان لأحد عليها.. ولست بأعصيك ولا أعصى أحدًا فى اتباع دين محمد وما أتانا من الله به من هداية ونور..

أمية : (ساخرًا وقد استشاط غضبًا) مرحى، مرحى.. ما كل هذا يا ابن الحبشية؟!..لا أملك عليك نفسك؟! ماهذا الذى أسمع يا عبد السوء؟!! إنك ملك يمينى من مفرق رأسك إلى أخمص قدمك.. (مهددًا) ولئن لم ترجع عما أنت فيه لأعذبنك عذابًا شديدًا.. ولأجعلنك أمثولة بين العبيد!

بلال : لا عليك.. فو الذى نفسى بيده، لن أترك الدين الذى أعزنى الله به مهما صنعت..

أمية : (وقد اشتد غضبه) أى شؤم.. رمانا بك يا عبد السوء؟!.. سترى جزاء عصيانك وصبوئك!

بلال : (فى ثبات وهدوء) اتق غضب الله..

أمية : (بغيظ وغضبٍ شديدين) واللات والعزى لسوف تندم على

اجترائك وتمردك! ..(مستأنفًا) لأجعلنك للعبيد والسادة مثلاً وعبرة..

بلال : افعل ما بدا لك.. فو الله ما أنا تارك دينى الذى هدانى الله إليه..

أمية : (صائحًا فى ثورة شديدة) إلىّ يا رجال..إلىّ.. (آمرًا) خذوا هذا العبد الآبق الصابئ إلى بطحاء مكة واطرحوه فى الرمضاء تحت وهج الشمس.. هيا.. قيدوه بالأغلال.. واجلدوه بالسياط، ولا تدعوه حتى يرجع عما هو فيه أو يموت.. ولتجعلوه عبرة لهؤلاء الصابئين أتباع محمد..

«يسارع رجال أمية فى اقتياد بلال، فيمضى معهم فى ثبات وهدوء..»

* * *

«وقت الظهيرة.. فى بطحاء مكة.. بلال مسجى فى لهيب الشمس الحارقة.. منزوع الثياب إلاّ ما يستره.. يحيط به رجال أمية يعذبونه ويجلدونه وأمية يشرف عليهم فى غيظ وضيق».

أمية بن خلف : (شامتًا) هيه.. كيف وجدت العذاب يا بلال؟.. لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى!

بلال بن رباح : (مغالبًا آلامه فى ثبات) أَحَدٌ..أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

أمية : فكيف وجدت ربك يا ابن حمامة؟!

بلال : (يردد) أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

قرشى : (فى تشف وشماتة) هيه.. كيف وجدت ربك يا بلال؟!

بلال : (فى إصرار وحشرجة من ألم العذاب) أَحَدٌ أَحَدٌ.. أَحَدٌ أَحَدٌ !!

قرشى آخر : (فى سـخرية) فأين ربك الأحد؟! وأين صاحبك يستنقذك مما أنت فيه من عذاب؟!!

أمية : (متداخلاً) ألا تقول كما نقول؟

بلال : (ثابتًا يغالب الألم) إن لسانى لا يحسنه..

أمية : (مهددًا) يا بلال، اذكر اللات والعزى..

بلال : (مغالبًا آلامه فى ثبات) أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

«تتزايد ضربات السياط..»

أمية : (بغضب وغيظ) أما ترجع عما أنت فيه؟!.. ماذا صنع لك صاحبك؟!! أما تعود إلى اللات والعزى وتدع ما يزعمه محمد؟!!

بلال : (بنفس الإصرار) أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ.. أَحَدٌ..

أمية : (معاودًا فى تهديد) اذكر اللات والعزى!

بلال : (بنفس الإصرار الممزوج بالألم) أَحَدٌ أَحَدٌ.. أَحَدٌ أَحَدٌ.

«تثور ثائرة أمية، فيدعو رجاله لضرب بلال بالسياط.. لا يتوقف بلال ويردد نداءه الأثير: أحد أحد.. بينما الرجال ماضون فى ضربه بالسياط.. يئن ولكنه لا يتوقف عن ندائه..».

أمية : (وقد اشتد غيظه) ضعوا على صدر ابن الحبشية هذه الصخرة العظيمة.. (مستحثًّا) هيا.

«يرفع رجال أمية صخرة عظيمة ويلقونها على صدر بلال الذى يتأوه من ثقلها.. ولكنه

يتابع نداءه: أحد.. أحد..!».

أمية : (يستأنف أمية بغيظ) سنرى يا عبد السوء ماذا أنت فاعل.. سنرى!!

* * *

«بعد فترة.. والعذاب قائم لا يهدأ فى البطحاء.. يمر بهم ورقة بن نوفل.. شيخ كبير هرم.. قد طعن فى السن، وذهب بصره حتى لا يكاد يرى.. يهوله ما يصنعون ببلال.. يسمع من خلال أنينه كلمته الأثيرة: أحد أحد.. فيقترب من بلال مشفقًا ومشجعًا..».

ورقة : (لبلال.. مشجعًا فى حنان) أحد أحد والله يا بلال.. أحد أحد والله يا بلال..

«ينظر ورقة فى القوم باحثًا، حتى يرى أمية ابن خلف.. فيتجه إليه متوكئًا..».

ورقة : (لأمية بن خلف ـ مؤنبًا) أحلف بالله، لئن قتلتموه على هذا، لأتّخذنه حنانًا.. ولأجعلن قبره موضع رحمة فأتبرك به وأستمطر عنده رحمة الله، وألوذ بجواره..

«يستمع إليه أمية فى ضيق واضح، ونفاد صبر.. ثم ينصرف عنه، فيأمر رجاله بإحضار صخرة أخرى أكبر وأعظم.. فيسارعون إلى وضعها على صدر بلال.. ويستأنفون ضربه بالسياط.. يبدو على بلال الألم والوهن، ولكنه يقاوم.. يقترب منه أمية مغيظًا محنقًا».

أمية : (إلى بـلال فى غلٍّ وغيظ) لعل هذه الصخـرة تسـكـت من صيحتـك التـى ما فتئت تؤذى بهـا آذاننا مذ أمس أيها العبد الآبق !

بلال : (فى ثبات ممزوج بألم شديد) أحد أحد ! !

أمية : (مغيظًا) واللات والعزى، لأحزن رأسك بهذا السيف..

قرشى : (لبلال مغيظا متوعدًا) لئن لم ترجع عن ضلالك ، لأضربن عنقك بهذا السيف يا ابن الحبشية !...

بلال : (فى ثبات ممزوج بألم شديد) أحد أحد ! !

أمية : (بغيظ مشـوب باليـأس) عجيب أمرك يا عبد السـوء.. أمـاض أنت فى ضلالـك؟.. ألا تعود إلى ديننا فتبرأ من هذا العذاب الذى لا قبل لك به ؟!

بلال : (فى ثبات ممزوج بالألم) أحد أحد !.. أحد أحد !

أمية : أنت وشـأنك.. سنرى ماذا يسـتطيع صاحبك أن يصنعه لك ! !

«ينصـرف أميـة، بينما رجالـه ماضون فى تعذيب بلال وضربه بالسياط..».

* * *

«بعد فـترة.. بنفس المـكان.. ببطحاء مكة.. مشـهـد العذاب علـى مـا هو عليه..إلاّ أن أنات ونداءات بلال – أحد.. أحد – لا تتوقف..».

أمية : (فى شماتة واستهزاء) ألاَ زلت على ضلالك يا بلال؟!

بلال : (فى إصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية : أما آن لك أن تعود إلى ديننا وتنتهى مما أنت فيه؟!

بلال : (فى إصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية : يا بلال، ستظل هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى!..

بلال : (فى إصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية بن خلف : لا تزال هكذا حتى تموت يا بلال.. (بغيظ أشد) حتى تموت يا بلال..

«يصل عقبة بن أبى معيط وينضم إلى أمية».

عقبة بن أبى معيط : (متداخلاً) خل عنك يا أمية ، واللات لن يعذب بلال بعد اليوم (مخادعًا) إن بلال منا.. هو عبدنا ، وأمه جاريتنا.. (يستأنف محادثًا بلالاً) يا بلال.. إنك لن ترضى أن تجعلنا بإسلامك حديث قريش وموضع سخريتها ..

بلال بن رباح : (بنفس الإصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

أمية بن خلف : (وقد اشتد غضبه) ألم أقل لك؟!.. إنه عبد سوء ..(مناديًا) شددوا عليه العذاب، وسنرى ماذا يستطيع صاحبه أن يفعله له ..

بلال : (بنفس الإصرار) أحد.. أحد.. أحد.. أحد..

* * *

«بنفس بطحاء مكة بعد فترة.. المشهد كما هو.. يظهر أبو بكر الصديق ويقترب معاتبًا على ما يفعلونه ببلال..».

الصديق : حتى متى يا أمية؟!- ألا تتقى الله فيه؟!

أمية : وما لك وما أفعله بعبدى.. إنه ملك يمينى، أفعل به ما أشاء.

الصديق : أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله؟!.. لست والله أرى فيما أرى صنيع رجال!! ..أو تفترى بسلطانك ورجالك وجاهك على عبد ضعيف، لاحول ولا قوة له؟!

أمية : (فى غل) إنه عبدى!! فما لك وما أفعله بعبدى يا ابن أبى قحافة؟!..(فى تشفٍ) إنه ملك يمينى أعذبه وأفعل بـه ما أشاء!!

الصديق : وهل ابتعته لتفعل به ما أراك تصنعه؟!!

أمية : (مغيظًا ساخرًا) أنت الذى أفسدته، فأنقذه مما ترى..

الصديق : أفعل..

أمية : دونكه فاشتره وخلصه مما هو فيه ، إن كنت مشفقًا عليه!

الصديق :عنـدى غلام أجلد منه وأقوى على دينـك، أعطيكـه بـه..

أمية : (فى ارتياح وقد نفد صبره من بلال) قد قبلت..

الصديق : هو لك.. رد علىَّ بلالا..

أمية : ها هو.. خذه.. (مناديًا فى رجاله) أطلقوا عبد السوء.. أطلقوه..

الصديق : بل هو سيدنا.. كلنا لآدم وآدم من تراب..

أمية : عجبًا لك يا ابن أبى قحافة.. فواللات والعزى لو أبيت أن تشتريه إلا بأوقية واحدة لبعته لك بها!!

الصديق : والله لو أبيتم أنتم إلا مائة أوقية لدفعتها!!

«يقترب أبو بكر من بلال حانيًا مواسيًا.. فيفك أغلاله، ويرفع الصخرة من على صدره.. ويخفف عنه، ويواسيه.. ويعينه على النهوض..».

أبو بكر : (إلى بلال) هلم يا بلال، قد والله وهبتك حريتك، فاعبد الله ما بدا لك..

«يمضي بلال فرحًا متهللاً يردد.. أحدٌ.. أحدٌ»

* * *

«بعد فترة، في دار أبي بكر.. وقد بلغ من أعتقهم لله ورسوله سبعة.. ، عامر بن فهيرة، وأم عبيس، وزنّيرة، وجارية بني مؤمل، والنّهدية، وابنتها.. وبلال».

«يدخل على أبي بكر أبوه: أبو قحافة، شيخًا هرمًا.. قد كف بصره.. يساعده أبوبكر على الجلوس في برٍّ واضح...».

أبو قحافة : (لابنه أبي بكر) أحقًا ما بلغني يا ولدي؟!!

أبو بكر : وما بلغك يا أبتاه؟!

أبو قحافة : بلغني أنك اشتريت بلالاً: عبد أمية بن خلف!!

أبو بكر : أجل يا أبتاه..

أبو قحافة : (مستأنفًا) وأنك دفعت فيه ثمنًا باهظًا..وأعتقته لفورك!!

أبو بكر : نعم يا أبتاه.. ابتغاء وجه الله..

أبو قحافة : أنت وشأنك يا ولدي – ولكني أراك تعتق رقابًا ضعافًا،

«أبو قحافة يسكت مستسلمًا مغلوبًا على أمره»

* * *

«بعد أيـام.. مكـة كلها تتحـدث بما صنع الصديق أبوبكر فى شراء ثم عتق العبيد.. محمد عليه السـلام فى خلوته وتحنثـه.. يتنزل عليه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلـو).. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [سورة الليل: الآيات: ١ - ٢١].

(يرتفع الوحى)

* * *